الوجـــودية

« نقل الذين يرفعونها فوق طاقتها
دون علم ، ما ضر لو صبرتم حتى تدركوا
ما تكتبون وتفهموا ما تقولون ! ... »

للأستاذ شاكر السكرى

نشرت مجلة الرسالة الغراء بعددها ٩٤٢ و ٩٤٣ كلمة للأستاذ على متولى صلاح أهداها إلى صديقه فى الوجودية (الدكتور محمد القصاص) الذى قال عنه فى كلمته الأخيرة بأنه (المبشر بالوجودية فى مصر) . وقبل أن أناقش الأستاذ متولى أود أن ألفت نظره إلى كلمتى (فلسفة الوجودية) المنشورة فى العدد ٩١٠ لسنة ١٩٥٠ من الرسالة الغراء ، ليقدر بعدئذ قيمة الذين وضعوا المذهب الوجودى ويضعونه الآن على مائدة التشريح ليخرجوا منه تلك العلل الدفينة والروائح النتنة قبل أن يعتبره خير ما يجب أن يكون الشرقيين من علاج ليتخلصوا بفضله من التحلل واليوغة والوغادة ، فى الوقت الذى يقوم المذهب الوجودى بذاته فوق تلك المعايب التى اعتبرها علاجا للشرق والشرقيين !

ايها الوصيطان

لقد تدخلتم أخيرا فى شؤون الشرق الأوسط فاحذروا أن تلوثكم السياسة البريطانية . واعلموا أن أمم الشرق تطالب بحقوقها المشروعة فى الحرية والاستقلال وفى استغلال موارد بلادها ، فإن عارضتموها صادقين كان لكم منا شكر عظيم

أما إن وقفتم فى وجوهنا فاعلموا أن دولة الباطل ساعة وأن دولة الحق إلى قيام الساعة ، وأن صاحب الحق لابد أن يصل إليه مهما طال به الزمن وشق عليه الجهاد

أبو الفتوح عطيفة

ولقد ادرك قبل غيره ممن زعموا الوجودية فى الشرق أن اليوغة والوغادة والانحلال التى يتهم بها الشرقيين ليست إلا الصفات الظاهرة التى تمتاز بها الوجودية نفسها !

وقبل أن نضرب للأستاذ الناقد الأمثال ونضع نصب عينه الأرقام التى من شأنها أن تقرب وجهة نظره الخاطئة إلى وجهة نظر الواقع والحقيقة ، حيث إذ ما ذهب إليه فى رفعة المذهب الوجودى لا يمكن أن يكون خير ما يجب أن تقوم عليه أخلاق الشرق ونظمه ، وقبل أن آخذ بتلابيب الأستاذ الناقد لينظر الحقائق العلمية القائمة على الأسس الصحيحة : لأن النقد الذى تفضل به حضرته كان يعوزه المنطق وتنقصه الدراسات العامة والخاصة التى ترتكز عليها مختلف المذاهب الفلسفية والمادية

والغريب فى أمر الأستاذ متولى أنه ضرب لنا خير مثل لعفاف الوجودية ، تلك الأسطورة اليونانية القديمة التى اعتبرها خير شاهد يبرر ذمة هذا المذهب الفاجر !

والأغرب من ذلك كله الخلط الذى جاء به أثناء مقارنته بين الغاية عند اليونان ، والغاية عند (سارتر) فى روايته (الذباب أو الندم) les mouches لا أدرى ماذا يقصد بذلك . هل أن نقده ونقاشه جاء على غرار فكرة الأسطورة ، أم أنها جاءت على غرار الأسس الفلسفية التى تقوم عليها الفلسفة الوجودية ؟

لا أدرى إن كان الأستاذ متولى قد درس فلسفة المذهب الوجودى وغايتها أم لا ... والواقع يؤيد عدم تعمقه فى الأسس الجوهرية لهذه الفلسفة

ولا يمكن أن تعتبر بأية حال رواية (الذباب أو الندم) les mouches كأساس يقوم عليه المذهب الوجودى ، وليس بمقدور سارتر نفسه أن يعتبر الوجودية متمثلة فى روايته هذه !

كنت أرجو أن يدور نقاش الأستاذ متولى فى اللب لا فى القشور . كان يجب أن يبحث عن (الحرية الفردية) وخطورتها

فى المذهب الوجودى ، كان يجب أن يثبت لنا الوجودية فى أسسها لا فى حكاياتها ...

وبهذه المناسبة أود أن أسرد للأستاذ متولى وللقراء سذاجة الفرد الوجودى ، وبلاهة الفلسفة الوجودية !

إن فلسفة الوجودية التى تريد أن يرددها الفرد بلسان الوجودية السارترية هى :

« قل لى ماذا تفعل ، أقل لك من أنت »

ولنفرض جدلا بأننى أريد أن أسخر من هذا المذهب الوجودى أو هذا الدين الجديد كما سماه سابقا (أنيس منصور) أحد زعماء الوجودية فى مصر أيضا ، فهل بإمكان الوجودية أن تقول لى من أنا ؟

إن الفلسفة الوجودية قامت منذ اللحظة الأولى ضد فكرة (المذهب) والمذهبية ، وأول من وجدت لديه البذور المتنافرة المتناثرة للفلسفة الوجودية هو الفيلسوف الدانمركى (كيركجورد) كما أن هذه الفلسفة جاءت ضد فلسفة (هيجل) التى تتصور العالم (كلا واحدا) . والأصل فى الوجودية إثبات وجود الفرد ضد الفكرة الجماعية ، أو أنها كرد فعل لعاطفة مكبوتة تعطف على الفرد وتدفع إليه الحرية الفردية لتمكنه من القيام بتمثيل الحياة الحيوانية كما تمثلها باقى الحيوانات الدارجة سواء بسواء !

أما مذهب (هيجل) وفلسفته التى تتصور العالم (كلا واحدا) هى الفكرة الجماعية التى تحاربها الوجودية بكل قواها لإثبات وجودها . . باعتبار أن سلطان الجماعة والجماهير كان من شأنه أن جعل الفرد لا وجود له ، وإنما هو يدخل فى الحساب (ضمنا) . والحقيقة هى أن الفرد كجزء وليس (كل) لأن الفرد وحده لا يكون (الكل) إلا إذا اجتمع مع غيره ، مثلا : إن المحيط مجموعة بحار وليس البحر الواحد محيطا ، أو أنت كإنسان ولكنك أصبحت (إنسان) لأنك مجموعة أعضاء وليس العضو الواحد هو الذى جعل منك إنسانا

وإذا كان القصد من وراء قيام الفرد على حريته الفردية وتفكيره الخاص وما يذهب إليه فى تعريف الوجود ، كان معنى ذلك أن البشرية ستعود إلى ما كانت عليه أول نشوئها ؛ أى أنها تعود إلى حالتها الهمجية كما أوجدتها الطبيعة ! وبذلك تنعدم القيم والمفاهيم والحقوق لتحـــل محلها هذه الفوضى (الوجودية !) أليس هذا مايدعو إليه الفرد وما تقوم عليه الحرية الفردية !؟

أما قولها — (أنا المرجع الوحيد وأنا المصدر الأول لكل بداية) فهذه مغالطة ، لأنه إذا كانت هناك مجموعة أفكار كلية جامعة فليست معناها فكرة واحدة بل مجموعة أفكار

ومن هنا نستنتج : بأن (أنا الإنسان الفرد) ليس إلا مجموعة أفكار كلية وأحكام عامة. وليست بفكرة واحدة وحكم واحد وحرية فردية . أما الرجوع إلى الإنسان نفسه ، فهو الإنسان (أنا وليس أنا المصدر لكل بداية) هذا هو الفرق

كما أن الحرية التى تقوم على أساس الفرد لا يعنى أنها تعمل بحريات الآخرين (تبدأ حريتك عندما تنتهى حرية غيرك) وبالعكس . أما أن الفلسفة الوجودية أساسها الحرية الفردية فهذا هراء لا يقبله العقل ولا تقوم عليه أتفه الأسس !

إنك موجود بالحياة لوجود غيرك ، وليست الحياة وجدت لأنك موجود . إن المذهب الوجودى قائم على أساس الإشباع الجنسى فى الفرد ، وتحقيق ماتتطلبه الغريزة الجنسية بأبشع صورها وأقبح ما تصوره من الهدم والتخريب ! إن الأمة التى تقوم على غير الأخلاق وضمان الحريات الأخرى لهى زائلة حتما

إنك وجودى لأنك أنانى تحب ذاتك إلى حد الجنون ! إنك وجودى لأنك تريد أن ترقص على أشلاء الآخرين لتمثل فوق رفاتهم ما تدعوك إليه غرائزك وعواطفك وتفكيرك الخاص وحريتك الفردية ...

وإذا كانت الفردية تهدف إلى ذلك فهى فردية مشوهة الخلقة ناقصة التكوين !

أما أن الوجودية عند الوجوديين قد أخرجت العدم من الوجود ، فإن الطبيعة أيضا هى التى أخرجت الوجود من العدم !

بغداد شاكر الكرى